﴿۞قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٢٤ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٢٥﴾ [الزخرف: 24 - 25]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلَهُما:

تـرَقٍّ في بيانِ موقفِ الكافرين مِـن الـرِّسـالـة والرَّسول

لمّا أوردَ النَّظمُ الجليل حديثَ الكفّار والمشركين في عصر نزولِ القرآن على النَّبيِّ ﷺ، انتقلَ إلى الحديث عن أسلافهم السّابقين؛ منَ الأمم التي كذَّبت الرُّسُل[1]؛ فحكى النَّظمُ الجليل عنهم قولَهم: إنّا ثابتون على دين آبائنا، لا ننفكُّ عنه، وإنْ جئتنا بما هو أهدَى فإنّا كافرون به؛ فعند هذا استحقّوا العذابَ، ولم يبقَ لهم عُذرٌ ولا علَّةٌ، فأتبَعَهُ تعالى بذِكر العقاب فقال: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَٱنتَقَمۡنَا﴾: (نقم) أصلٌ يدلُّ على إنكارِ شَيءٍ وعَيبِه، ونَقَمْتُ عليه أَنْقِمُ: أنكرتُ عليه فِعلَه، والنِّقْمَةُ مِنَ العَذاب والانتقام، كَأَنَّهُ أَنْكَرَ عليه فَعاقَبَهُ[3]، وقال الخليل: نَقَمَ ينقم؛ أي: أنكرَ ولم يرضَ، وانتَقَمْتُ منه: كافأتُه عقوبةً بما صنع[4]، والنَّقْمَةُ: المكافأة بالعُقوبَة، ونَقَمْتُ الأمرَ ونَقِمْتُه؛ إذا كَرهته، وانْتَقَمَ اللّٰهُ مِنْهُ؛ أيْ: عاقَبَه، والاسْمُ مِنْهُ النَّقْمَةُ[5]، والمراد به في الآية الكريمة الإهلاكُ بعذاب الاستئصال[6].

(1) المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام: 4/ 46.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 628.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نقم).
(4) الخليل، العين، وابن عبّاد، المحيط في اللُّغة: (نقم).
(5) ابن منظور، لسان العرب: (نقم).
(6) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 414.

2) ﴿عَقِبَةُ﴾: (عقب) أصلٌ يدلُّ على تأخير شيءٍ وإتيانِه بعد غيره[1]، والعَقِبُ: مُؤَخَّرُ القَدَم، وكُلُّ شيءٍ يُعْقِبُ شيئًا فهو عَقيبُه؛ كقولك: خَلَفَ يَخْلُفُ، بمنزلة اللَّيْلِ والنَّهار، إذا قضَى أحدُهُما عَقِبَ الآخر فهما عَقيبان؛ كلُّ واحدٍ منهما عَقيبُ صاحبه، وعَقِبُ الأمرِ: آخِرُه، وعاقِبَةُ كلِّ شَيءٍ: آخرُه[2]، وكلُّ شيءٍ خَلفَ بعد شيءٍ فهو عاقبٌ له[3]، والمرادُ به في الآية الكريمة: آخِرُ الأمر[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ذروةُ التَّحدِّي وذروةُ الإنكارِ والرَّفضِ يُنبئُ بمجيء العقاب

يحكي النَّظمُ الجليلُ عنِ الرُّسل قولَهم لأقوامِهم المشركين المتمسِّكين بالتَّقليد: أتتَّبعون آباءكم ولو جئناكُم مِن عند ربِّكُم بأهدَى طريقٍ إلى الحقِّ وأدلَّ على سبيل الرَّشاد ممّا وجدتُم عليه آباءَكم منَ الدِّين والمِلَّة؟ فحكَى عِنادَهم وإصرارَهُم إذْ قالوا: إنّا بما أُرسلتُم به جاحدونَ مُنكِرون؛ فتسبَّب عن كُفرِهم ذلك أنْ عذَّبناهم، فانتقمنا منهم بإحلالنا العقوبةَ بهم، فانظُر كيفَ كان عاقبةُ أمرِهم ونهايتُه؛ كيف صارت؟ فقد أهلكناهُم، وجعلناهُم عِبرَةً لغيرِهم، فلْيحذَروا مِن تكذيبِهم؛ فيصيبَهُم ما أصابَ السّابقين[5].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالةُ فصلِ الجملة في صدر الآية:

المحاورةُ في الخطاب مُغنيةٌ عنِ العطف

فصلَ النَّظمُ الجليلُ الجملةَ في قوله جلَّ شأنُه: ﴿قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ﴾؛ لأنَّها مستأنفةٌ استئنافًا بيانيًّا، سيقَتْ للجواب عن سؤال، فكأنَّه قيل: ماذا قال كلُّ نذيرٍ لأُمَّته عند ذلك؟ ولذا ترك العطفَ[6].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عقب).
(2) الخليل، العين: (عقب).
(3) الأزهري، تهذيب اللغة: (عقب).
(4) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 414.
(5) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 21/ 587 - 588، وجماعة من العلماء، التفسير الميسر: 1/ 491.
(6) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي 17/ 306.

التَّوجيهُ البلاغيُّ لقراءتَي الفعل: ﴿قَٰلَ﴾:

حالُ قوم رسولِ الـلـه يـقـتـضي الـتَّـفـصـيـلَ بالقراءَتيْنِ معًا

قرأ فعلَ القولِ ماضيًا في قوله تعالى: ﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾ ابنُ عامرٍ وحفصٌ، وقرأهُ الباقون بغير ألفٍ على الأمْرِ ﴿قُلْ﴾[1]، وقراءةُ الأمرِ خطابٌ للرَّسولِ ﷺ بأنْ يقولَ ذلكَ جوابًا عن قولِ المشركين: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الزخرف: 22]، ويكونُ الضَّميرُ في قراءةِ الماضي ﴿قَٰلَ﴾ عائدًا إلى ﴿نَّذِيرٍ﴾ جوابًا لقولهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾؛ فحصَل مِن مجموع القراءتيْنِ أنَّ جميع الرُّسل أجابوا أقوامَهُم بهذا الجوابِ، وعلى كلتا القراءتيْنِ جاء فعلُ ﴿قُلْ﴾ أو ﴿قَٰلَ﴾ مفصولًا غيرَ معطوفٍ؛ لأنَّه واقعٌ في مجالِ المحاورة[2]، وكان مِنَ الممكن أنْ يُسند فعلُ القولِ إلى ضمير الجماعة (قالوا أوَلو جئناكُم) العائد إلى مجموع الرُّسُل النُّذُر؛ وعلى رأسهم سيِّدُنا رسولُ الله محمَّدٌ ﷺ؛ لا سيِّما أنَّ ثمَّة قراءةً متواترةً بالجمع، وهي قراءة أبي جعفر المدني: ﴿قُلْ أَوَلَوْ جِينَٰكُمْ﴾[3]، ولكِنَّ القراءتيْنِ تفصيلٌ ترتَّبَ على التَّفصيل في عرض مقالة قريش لرسول الله في الآية الثَّانية والعشرين، ومقالةِ الأقوام السّابقين لرسلهم في الآية التي بعدَها، وقراءةُ الفعل الماضي إمعانٌ في التَّفصيل، بالنَّصِّ على مقالة كلِّ رسولٍ نذيرٍ لهم؛ وهذا التَّفصيلُ كلُّه أبلغُ في التَّسلية والتَّسرية عن نبيِّنا ﷺ مِن جهةٍ؛ وفي ترهيب قومه الكفّار بأحوال السّابقين التي اقتضَت عقابَ الله وعذابَه في الدُّنيا قبلَ الآخرة؛ لأنَّهم قومٌ مُسرفونَ في الكفر، مِن جهةٍ أخرى؛ فكانتِ القراءتان مِن مقتضَيات السِّياق.

(1) ابن الجزري، النشر: 2/ 369، والدمياطي، إتحاف فضلاء البشر، ص: 495.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 189.
(3) أبو جعفر يبدل الهمز الساكن ويضم ميم الجمع وصلًا.

بلاغةُ التَّعبير بالاستفهام في: ﴿أَوَلَوْ﴾:

ليس من شأن العاقل اتِّباعُ غير الحقِّ

عبَّر النَّظمُ الجليل بحرف الاستفهام (الهمزة) في قوله جلَّ شأنُه: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾ للإنكار والتَّجهيل[1]، أي: أتتَّبعونَ دينَ آبائكم ولو جئتُكم بدينٍ أهدَى منه؟![2]، فالهمزةُ للاستفهام التقريريِّ المَشوبِ بالإنكار؛ فالمقصودُ تقريرُهم على ذلك، لاستدعائهِم إلى النَّظَر فيما اتَّبَعوا فيه آباءَهم؛ لعلَّ ما دعاهُم إليه الرَّسولُ أهدَى منهم، وقُدِّمتِ الهمزة على الواو لأجل التَّصدير، والتقدير: أتقتدونَ بهم ولو جئتُكم؟[3]، فالهمزةُ داخلةٌ على جملةٍ مقدَّرةٍ دلَّ عليها السِّياق، ثمَّ عُطِفَ عليها بالواو[4].

بلاغةُ العطف بالواو:

التَّلطُّفُ في دعوة الضّالّينَ ومُجاراتُهم أصلٌ في الدَّعوة إلى الله

عطفَ النَّظمُ الجليلُ جملةَ (لو جئتُكمْ) في قوله جلَّ شأنُه: ﴿قَلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾ بالواو على الجملة المقدَّرة بعد همزة الاستفهام، والتَّقدير: (أتتبعونَ آباءكم ولو جئتُكم بدينٍ أهدَى من دينهم؟)[5]، وهذا العطفُ ممّا يُسمَّى عطفَ التَّلقين، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ [البقرة: 124][6]، فقد وقعَ العطفُ بين جملتينِ لقائلَينِ مختلفَين، مفصولتَين بالفعل: ﴿قَلَ﴾، والمتكلِّمُ في الجملة الثّانية مُجارٍ للمخاطَب على قوله؛ فالرَّسولُ قد جارَى المشركينَ بقولهِم بأنَّهُم وجَدوا آباءَهُم على دينٍ يستحقُّ أن يُؤَمَّ، ثمَّ عَرضَ عليهم ما هو أهدَى منه؛ تلطُّفًا معهم، ومداراةً لهم.

نكتةُ التَّعبير بـ(لو):

عبَّر النَّظمُ الجليلُ بـ(لو) في قوله جلَّ شأنُه: ﴿قَلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم

(1) المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام: 47/ 4.
(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 245.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 44، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 190.
(4) الخفاجي، عنايه القاضي: 7/ 438.
(5) الزمخشري، الكشاف: 4/ 245.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 189.

الـكـافـرون يُعلنون إعلانَ الكفر في كلِّ الأحوال، حتَّى في حالِ ظهورِ الهُدَى والحقِّ

بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ﴾؛ وهي هنا شرطيَّةٌ بمعنى (إنْ)، فهي حرفُ شَرطٍ للمستقبل غيرُ جازمٍ، أي: (إنّا ثابتون على دينِ آبائنا وإنْ جئتَنا بما هو أهدَى، وإنّا كافرونَ بدينكم وإنْ كان أهدَى ممّا كنّا عليه)[1]، كقوله تعالى: ﴿وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ﴾ [النساء: 9][2]، فهي حرف شرطٍ حُذِفَ جوابُه؛ لدلالة ما قبْله عليه، والمقصودُ به المبالغةُ، ويُقال لها الوصليَّة؛ لأنَّها أفادتِ الوصلَ والرَّبط مع التَّأكيد[3]، فهو تأكيدٌ لفساد نيّاتهم، وقد جاء التَّعبير بهذا الأسلوب إلجاءً لهم إلى الاعتراف بسوء نيّاتهم التي يُضمِرونها[4]، فهُم لا يبتغونَ الهداية؛ بل محضَ التَّقليد الأعمى.

التَّوجيهُ البلاغيُّ لقِراءتَي: ﴿جِئۡتُكُم﴾:

مـقـامُ رسولنا أعـلى مـقـامٍ في الأنبياء والرُّسل

قرأ أبو جعفر المدنيُّ قولَهُ تعالى: ﴿جِئۡتُكُم﴾ بالنّون في موضع التّاء مع ألفٍ بعدَها، هكذا: ﴿جِينَٰكُمُ﴾، وقرَأَهُ الباقون بتاء المتكلِّم[5]، فقراءةُ التّاء بإسناد المجيء إلى مفردٍ تتناسبُ مع القراءتيْن في ﴿قُلۡ﴾، و﴿قَلَ﴾؛ وقراءةُ النّون بإسناده إلى ضميرِ الجمع تتناسبُ مع قراءة الأمر ﴿قُلۡ﴾؛ "وأبو جعفر مِن الذين قرأوا ﴿قُلۡ﴾ بصيغة الأمر؛ فيكونُ ضمير ﴿جِينَٰكُمُ﴾ عائدًا إلى النَّبيِّ ﷺ المخاطَب بفعل﴿قُلۡ﴾؛ لتعظيمهِ ﷺ مِن جانبِ ربِّه تعالى"[6]، كأنَّ في قراءة الجمع نفيًا لشُبْهتهم التي قالوها في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٖ﴾ مِن قبْل إيراد هذه الشُّبهة؛ كما قال تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ [التوبة: 43] ثمَّ عاتبَهُ فقال: ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾ [التوبة: 43]، وهذه فائدةٌ شريفةٌ لمَن يتأمَّلُ.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 628.
(2) ابن هشام، مغني اللبيب، ص: 344.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/ 306.
(4) صافي، الجدول في إعراب القرآن 13/ 78.
(5) الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر، ص: 495.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 189.

ويجوز أنْ تكون صيغةُ الجمع للاستتباعِ؛ أي يُراد بها الرَّسولُ محمَّدٌ ﷺ؛ على أنَّه اسْتتْبَع إخوانَه مِنَ الرُّسُل معه في الكلام؛ وفي ذلك كلُّ تعظيمٍ له أيضًا؛ وتَحَدُّثُه ﷺ بلسانهم جميعًا لأنَّه إمامُهم وخاتَمُهم؛ وفي هذا كلُّ تسليةٍ ربّانيَّةٍ له.

دلالةُ صيغة التَّفضيل (أهْدَى):

مـجـاراةُ الكافر في ظنِّه؛ إرخاءً للعنان، وابتغاءً للعِظةِ والتَّذكُّر

عبَّر النَّظمُ الجليلُ باسم التَّفضيل في قوله جلَّ شأنُه: ﴿قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾؛ فأطلقَ الهُدى على منهاج آبائهم المشركين، والضَّلالةُ "ليستْ من الهدايةِ في شيءٍ؛ وإنَّما عبَّرَ عنها بذلك مُجاراةً معهم على مسلكِ الإنصاف"[1]، فهو إرخاءٌ للعنان، ومجاراةٌ لهم تلطُّفًا معهم، ليتَّعظوا ويتفكَّروا، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: 24][2].

بلاغةُ التَّعبير بالموصوليَّة في: ﴿مِمَّا﴾:

جـزئـيّـاتُ الشَّريعة أهدَى مِن عُمومِ دينِ المشركين

عبَّر النَّظمُ الجليلُ بالاسم الموصول (ما) الدّالِّ على الإبهام والعُموم في قوله جلَّ شأنُه: ﴿بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾؛ دونَ الاسم الصَّريح، فلم يقُلْ: (أهدَى من دينِ آبائكم)؛ تهوينًا لدين آبائهم، وتقليلًا مِن شأنه؛ في مقابلةِ غايةِ تعظيمِهم لدينِ آبائِهم، وافتخارِهم به، ويُفيدُ أيضًا أنَّ الأفضليَّة واقعةٌ على عموم الأحكام والتَّعاليم التي يتضمَّنُها الدِّينانِ في سياق المفاضلة، ونظْمُ قوله: ﴿وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾ صلةً أبلغُ في التَّحدِّي؛ فقد ذاعَ عنهُم ذلك القولُ، واشتهر.

دلالةُ المُضِيِّ في صلة الموصول:

آثرَ النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بالفعل الماضي في صلة الموصول في قوله جلَّ شأنُه: ﴿بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾ لأنَّهم وجدوا

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 44.

(2) الخفاجي، عنايه القاضي: 7/ 438، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 190.

آباءَهم على ذلك الدِّين في زمانٍ قد مضى وانقطَع، فهم لا يجدونَ آباءَهم على التَّجدُّد والاستمرار.

نكتةُ تقديمِ شبْه الجملة على المفعول به:

قدَّمَ النَّظمُ الجليل شبهَ الجملة على المفعول به في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾؛ فلم يقُلْ: (وجدتُم آباءَكم عليه)؛ وذلك للاهتمام بشأن الدِّين، فهو أصلُ الخلاف، وتقليدُ الآباء إنَّما وقعَ لأجل المحافظةِ على ذلك الدِّين.

دلالةُ إضافةِ الآباءِ إلى ضمير المخاطَب:

أضافَ النَّظمُ الجليلُ الآباءَ إلى ضمير المخاطَب في قوله جلَّ شأنُه: ﴿بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾ للتَّصريح بأفضليَّة الدِّين الذي يدعوهم إليه على دين آبائهم، فلمّا أعلنوا تمسُّكَهم بدين الآباء صرَّحَ بأفضليَّة ما يدعوهُم إليه مع ذِكر الآباءِ الذين يُقدِّسونهم؛ تجريئًا لهم على المقارنة بين الدِّينَين، وحثًّا لهم على النُّزول مِن تكبُّرهم واستعلائِهم إلى ملاحظةِ الفرق بين المنهجَيْن.

مهاجمةُ الكافر في أقـدَسِ ما يُقدِّسهُ تحطيمٌ لاستـكـبـاره، وتفريغٌ لأعذاره

سرُّ فَصْلِ الجملة:

فصلَ النَّظمُ الجليلُ الجملةَ في قوله جلَّ شأنُه: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾﴾؛ لأنَّها مستأنَفةٌ استئنافًا بيانيًّا، سِيقَتْ للجواب عن سؤالٍ نشأ عنِ الإخبار بالإتيان بدينٍ أهدَى ممّا وجدَ عليه المشركون آباءَهم، فكأنَّه قيل: ماذا أجابوا؟ فحكَى ما أجابوا به[1].

سِرُّ التَّوكيد في جملة مَقولِ القول:

أكَّد النَّظمُ الجليل جملةَ مقولِ القول في قوله جلَّ شأنُه: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾﴾؛ وذلك للدَّلالة على إصرارهم على الكفر وتمسُّكهم بما ورثوهُ عن آبائهم[2]، والمرادُ من ذلك بثُّ اليأس في

يُحاولون إظهارَ شـدَّة كُـفرِهم، ردًّا عـلى قـوَّة الحـقِّ وإزهـاقِـه باطلَهم

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 413.
(2) النخجواني، الفواتح الإلهية: 2/ 298.

نفوسِ مَن يدعونهُم؛ فأكَّدوا ثباتَهم على دين آبائِهم حتَّى في حالةِ مجيءِ ما هو أهدَى منه[1].

دلالةُ التَّعبير بالموصول (ما):

رفْضُ المشركين دعـــوةَ الـحـقِّ جملةً وتفصيلًا

عبَّر النَّظمُ الجليلُ بالاسم الموصول (ما) في قوله جلَّ شأنُه: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٢٤﴾؛ للدَّلالة على كفرهم بعموم ما جاء به الرُّسل[2]، فقد كفروا بالمعتقدات والأحكام والآداب والوصايا الحسنة، وهذا التَّعميم إنَّما يصدرُ عنِ الإصرار على الضَّلال، وتركِ النَّظر في أدلَّة الدّاعي؛ فهو تعبيرٌ عَنِ العناد والمكابرة.

دلالةُ التَّعبير بـ(الإرسال) مادَّةً، وصيغةً:

تعبيرُ الكفّار عنِ الـدَّعـوة بلفظ الرِّسالة تهكُّمٌ بالمرسلين

عبَّر النَّظمُ الكريمُ بفعل الإرسال في قوله جلَّ شأنُه: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٢٤﴾؛ وذلك للدَّلالة على التَّهكُّم بالمرسلين[3]؛ إذ إنَّهم لا يؤمنون بالرِّسالة أصلًا؛ فذكروا الرِّسالةَ مجاراةً للمرسلين، أي: "أيُّها المدَّعونَ للرِّسالة"[4]، وآثرَ النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بالفعل المبنيِّ للمفعول؛ للدَّلالة على أنَّهم كفروا بالرِّسالة مِن أيِّ مُرْسِلٍ كان[5]، وأسنَدوهُ إلى ضمير الجمع دون أن يقولوا: (بما أرسلتَ)؛ وذلك للدَّلالة على أنَّهم فعلوا ذلك في حالةِ الإجماع[6]، وأنَّهم كفروا بالرِّسالاتِ جميعًا تعبيرًا عن كونهم يُكذِّبونَ الوحيَ بالجملة؛ ومَن كذَّب برسولٍ واحدٍ فقد كذَّب بجميعِ الرُّسُل.

نكتةُ تقديمِ شبْه الجملة على المسنَد:

حصرُ الكفر في الرِّسالة تأييسٌ للمرسلين

قدَّم النَّظمُ الجليلُ شبهَ الجملة ﴿بِمَآ﴾ على المسنَد في قوله جلَّ شأنُه: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٢٤﴾؛ فلم يقُل: (إنّا

(1) المراغي، تفسير المراغي: 25/ 81.
(2) النخجواني، الفواتح الإلهية: 2/ 298.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 190.
(4) النخجواني، الفواتح الإلهية: 2/ 298.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 413.
(6) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 44.

كافرونَ بما أرسلتم)؛ وذلك لتأكيد كُفرهم بالرِّسالة، فجعلوهُ مخصوصًا بما أُرسِلوا به، بمعنى: أنَّهم لو كفَروا بشيءٍ فإنَّهم يكفرونَ بالرِّسالات، وبالمرسَلين.

دلالةُ التَّعبيرِ بالكُفر مادَّةً، وصيغةً:

الكفرُ بِستر الظّاهر مِن الحقِّ صفةٌ راسخةٌ في أهل الضَّلال

عبَّر النَّظمُ الجليلُ بلفظ الكفر في قوله جلَّ شأنُه: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٢٤﴾؛ للدَّلالة على الإنكار والجحود، وأنَّهم قد ستروا ما ظهرَ مِنَ الحقِّ، وقد أفادَ التَّعبيرُ بالجُحود إقناطَ المُرسَلين مِن حصول النَّظر والتَّفكُّر في دعوَتهم[1]، وجاء التَّعبيرُ باسم الفاعل للدَّلالة على عَراقتهم في الكُفر، ورسوخِ هذا الوَصفِ فيهم.

معنى الفاء في صدر الجُملة، ودلالةُ التَّعبير بها:

الانتقامُ مِنَ المشركين مترتِّبٌ على عِلَّة الشِّرك

افتتح النَّظمُ الجليلُ الجملةَ في قوله جلَّ شأنُه: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ﴾ بالفاء، وهي هنا للتَّفريع؛ فقد فرَّعتِ العقابَ على قولهم: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٢٤﴾، مع الإشارةِ إلى أنَّه وقعَ عقبَه دون طولِ مُهلَةٍ مِنَ الزَّمن[2]، وهي دالَّةٌ على السَّببيَّة؛ فإنَّهم لمّا بالَغوا في إظهارِ الكُفر، وأبدَوا إصرارَهم عليه، وكان ذلك ممّا يوجبُ المقتَ الشَّديدَ: أتبَعَهُ بما تسبَّبَ عنه؛ فهو تنبيهٌ على أنَّ عِلَّةَ هلاكهم إصرارُهم على الكفر[3]، وإيرادُ العقابِ والعِلَّة التي سبَّبتهُ يُرادُ منه تهديدُ الكفّار بالنَّبيِّ ﷺ[4].

دلالةُ التَّعبير بالانتقام مادَّةً، وصيغةً:

إنَّ اللهَ لا يظلمُ أحدًا، وعقابُه للعباد استحقاقٌ مُسَبَّبٌ

عبَّر النَّظمُ الجليلُ بلفظ الانتقام في قوله جلَّ شأنُه: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ﴾ لدلالة الانتقام على إنكارِ الفعل[5]، فكأنَّه أنكرَ فعاقبَ[6]، وهذا

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 413، والقاسمي، محاسن التأويل: 8/ 386.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 190 - 191.
(3) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي 17/ 307.
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 628.
(5) الراغب، المفردات: (نقم).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نقم).

يدلُّ على أنَّهم استحقّوا العقوبةَ لِما أظهروهُ مِنَ الكُفر والإصرار عليه[1]؛ لأنَّ النّقمة هي المكافأة بالعقوبة، واسمُ الله ﷻ (المنتقم)، هو البالغُ في العقوبة، وهو (مفتعِلٌ) مِن نَقَم ينقِم إذا بلغَت به الكراهةُ حدَّ السّخط[2]، فلمّا كان فيه معنى المبالغة فسَّروه بأنَّه أهلكَهُم بعذاب الاستئصال[3]، فإيثارُ التَّعبير بصيغة (الافتعال) إنَّما هو لمجرَّد المبالغة[4]، لأنَّ الله تعالى لا يتكلَّفُ الأشياءَ ولا يُحْوِجه منه عليها جهدٌ.

دلالةُ إسنادِ فعلِ الانتقام إلى ضمير التَّعظيم (نا):

أبـلَـغُ الانتـقام وأشدُّه ما أمَرَ به كـامِـلُ العظمةِ والقدرةِ ﷻ

أسندَ النَّظمُ الجليلُ فِعْلَ الانتقام إلى صيغة الجمع في قوله جلَّ شأنُه: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾، إذِ الانتقامُ صادرٌ مِنَ الله فكانتِ الصِّيغةُ للتَّعظيم، أي: وقعَ الانتقامُ بما لله تعالى مِنَ العظمة[5]، وذلك للدَّلالة على هَول العقاب وشِدَّته، فهو واقعٌ بما لِلّه تعالى مِن كمالِ القوَّةِ والقُدرة، ويجوزُ أنْ تكونَ هذه الصِّيغةُ للاستتباع، أي: يُرادُ بها اللّهُ تعالى وجُنودُه استتباعًا؛ وما يَعلمُ جنودَ ربِّك إلّا هو، ومآلُ الوجهَين واحد.

دلالةُ التَّقييد بشِبْهِ الجملة ﴿مِنْهُمْ﴾:

لا يُعـاقِـبُ اللهُ إلّا مَـنِ استحقَّ العذابَ

عبَّر النَّظمُ الجليلُ بشِبْهِ الجملة في قوله ﷻ: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ للدَّلالة على تسلُّطِ نقمتِه تعالى على أولئكَ المكذِّبين الجاحدين[6]؛ فإنَّ مِن رحمةِ الله تعالى بعبادِه أن لا يشمَلَ عِقابُهُ إلّا الفئةَ التي كفرَت وأصرَّت، ولا يعُمَّ جميعَ النّاس.

معنى الفاء ودلالةُ التَّعبير بها في: ﴿فَٱنظُرْ﴾:

تـكـونُ مـعـرفـةُ مصير الكافرين برؤيةِ آثار هلاك السّابقين

عطفَ النَّظمُ الجليلُ الأمرَ بالنَّظر على الانتقام في قوله جلَّ

(1) النسفي، مدارك التنزيل: 3/ 270.
(2) ابن منظور، لسان العرب: (نقم).
(3) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 414.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 191.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 414.
(6) الهرري، حدائق الروح والريحان: 26/ 215.

شأنُه: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ بالفاء للدَّلالة على السَّببيَّة[1]؛ فإنَّ التَّأمُّل والتَّفكُّر إنَّما يكون بسبب ما وقَعَ لهم مِن عذاب الهلاك والاستئصال؛ وهذا يعني عِظَمَ ذلك الانتقام، ويشيرُ أيضًا إلى أنَّ آثار تلك الأقوام التي هلكت بالانتقام موجودةٌ[2]؛ فهي شاخصةٌ تُثير فكرَ مَن يراها ويتَّعظُ بها؛ فيتأمَّلُ حالَهُم ومآلهم.

دلالةُ التَّعبير بالنَّظر مادَّةً، وصيغةً:

الاتِّعاظُ والتَّفكُّرُ بمصارع الكفرة مأمورٌ به شرعًا

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بلفظ النَّظر في قوله جلَّ شأنُه: ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾؛ والمرادُ به نظرُ التّأمُّل والتَّفكُّر، لا نظرُ البصَر؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ لَم يَرَ حالةَ الانتقام فيهم[3]، وكذلك أهلُ الإيمان، وجاء التَّعبيرُ عن ذلك بفعلِ الأمر للدَّلالة على عِظم أثرِ النّقمة[4]؛ فإنَّها عِظَةٌ للسّامع ورادِعَةٌ للنّاظر، والمخاطَبُ بفعلِ الأمر عمومُ القادرين على النَّظر والتَّفكُّر والاعتبار، أي: "فانْظُرْ أيُّها المعتبِرُ النّاظرُ"[5]، والغرضُ مِن هذا الأمر تسليةُ النَّبيِّ ﷺ، وإرشادُه إلى عَدَمِ الاكتراث بتكذيب النّاس[6]، ولعلَّه إنَّما أمرَ بالنَّظَر دون أن يقول: (فتأمَّل)، أو: (فتفكَّر)، لأنَّ النَّظر كأنَّه يستدعي صورةَ مَن ينظُرُ بعينه شيئًا بِتَمَعُّنٍ؛ ليراهُ واضحًا، فقيل للتَّفكُّر في شيءٍ لإبصار حقيقتِه: (نظَر)، فهو سبيلٌ لإدراكِ الحقيقة، كإدراكِ النّاظر شيئًا بعينه.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 414.
(2) القنوجي، فتح البيان: 12/ 344.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 191.
(4) الخطيب، السراج المنير: 3/ 559.
(5) النخجواني، الفواتح الإلهية: 2/ 298.
(6) المراغي، تفسير المراغي: 25/ 81.

دلالةُ الاستفهام بـ﴿كَيۡفَ﴾:

آثرَ النَّظمُ التَّعبيرَ باسم الاستفهام ﴿كَيۡفَ﴾ في قوله جلَّ شأنُه: ﴿كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ إشارةً إلى أنَّ عقابهم، وحالتَه مِنَ العظمة، جديرةٌ بأن يتفكَّر فيها العاقلُ البصير[1].

دلالةُ التَّعبير بلفظ (العاقبة):

عبَّر النَّظمُ الجليلُ بلفظ العاقبة في قوله ﷻ: ﴿كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ لِلدَّلالة على نهاية أمرِهم وخاتمتِه، على جهةِ تَرَتُّبِها على ما كان منهم مِن إصرارٍ على الكفر؛ وهذا أدلُّ على التَّرهيب والتَّهديد؛ فقد أصبحوا مَثَلًا يُضرَب، وعِبرَةً تُعتبَر[2].

دلالةُ التَّعبير باسم الفاعل ﴿ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾:

آثرَ النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ عنِ التَّكذيب باسم الفاعل على وزن (مُفعِّلٍ) بتضعيف العين في قوله جلَّ شأنُه: ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾؛ وذلك للدَّلالة على أنَّهم كانوا مُصرِّين على التَّكذيب[3]، وأنَّهم عريقون فيه، وأنَّ الوصفَ ثابتٌ لهم لا يزولُ.

شِـدَّةُ تكذيبهم وإصرارِهم عليه صفةٌ راسخةٌ في أهل الكفر

❁ الفُروقُ المُعجَمِيَّةُ:

العاقبة والنِّهاية:

(العاقبة) ما يعقبُ شيئًا ويَخلفُه بعده؛ سواءٌ أكانَ الثّاني لا شيءَ بعدَه، أم لا؛ لأنَّ أصلَه يدلُّ على تأخير شيء، وإتيانِه بعدَ غيره[4]، وأمّا المُنتهَى أو النِّهاية فهو الشَّيء الذي يعقبُ شيئًا، ولا يعقبُه شيءٌ؛ لأنَّ أصلَه يدلُّ على غايَةٍ وبُلوغٍ[5]، والنِّهايَةُ: الغايةُ، يقال: بلغ نِهايَتَهُ[6]،

العاقبةُ أعمُّ مِنَ النِّهاية

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 414، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 191.
(2) القاسمي، محاسن التأويل: 8/ 386.
(3) النخجواني، الفواتح الإلهية: 2/ 298.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عقب).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نهي).
(6) الجوهري، الصحاح: (نهى).

وأنهيتُ إليه السَّهم: أوصلتُه إليه، وانتهى: بَلَغ. ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾﴾ [النازعات: 44]، أي: عِلْمُ موعدِ السّاعة ينتهي إلى الله تعالى، أي: يتوقَّفُ العلمُ بوقتها عنده تعالى[1]، وعبَّر في الآية بالعاقبة لأنَّها كانت الجزاءَ الذي عقَب جُرمَهم، فهو شيءٌ يعقُب شيئًا، ويَخلُفُه، فعبَّر بذلك على أنَّ الجزاء كان نتيجةً لفعلهم؛ فكان آخِرُ أمرِهم أن أصبحوا مثلًا وعِبرَة[2].

(1) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (نهى).
(2) القاسمي، محاسن التأويل: 8/ 386.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والخمسون،
سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والخمسون، سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 53 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-644-66-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 53 : المجلد الثالث والخمسون، سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-644-66-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4811073 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"